

## خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٣/٢٧

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

\*\*\*\*\*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كان الحديث جارياً عن توحيد الباري تعالى في سياق بيان سيرة النبي صلى الله عليه وآله. لقد سبق في الخطب السابقة بيان مفصل عن هدم الأصنام لدى فتح مكة، وقد فعل النبي صلى الله عليه وآله كل ذلك إعلاناً منه عن توحيد الباري تعالى، مبيناً للمشركين أن هذه هي حال الأصنام التي تعبدونها. فقد رأينا هدم أصنام المشركين الكبيرة الموجودة فيما حول مكة مثل مناة، والعزى، وسوى وغيرها. وهناك رواية بشأن صنم اللات صنم أهل الطائف.

كلم أهل الطائف النبي صلى الله عليه وآله في صنمهم اللات الذي كان يُدعى الرّبة، وسألوه أن يدعه ثلاث سنين لا يهدمه، فأبى صلى الله عليه وآله، ولم تُطق غيرته على التوحيد أن يقبل هذه المداينة منهم. فقالوا: لا تهدمه سنة. فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: لا تهدمه شهراً واحداً، وإنما يريدون بترك الرّبة أن يدخل الناس في الإسلام ولا يتعد سقهاؤهم والنساء والصبيان عن الإسلام بسبب هدم صنمهم هذا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسمح بذلك أيضاً، وبعث أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما يهدمانه.

لم تقبل غيرة النبي صلى الله عليه وآله على توحيد الباري تعالى أن يترك هذه الأصنام وقد استتبت الدولة الإسلامية. وعن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ «أن لا تدع تمثالاً إلا طمستته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

لماذا؟ لأن هذه الأشياء تنافي توحيد الباري تعالى، فلا يقبل ذلك في الدولة الإسلامية بحال من الأحوال. ولكن المؤسف أن عدداً كبيراً من المسلمين اليوم يعبدون القبور ويسجدون لها، وبدلاً من أن يسألوا الله حاجاتهم يسألون الصالحين المدفونين فيها، ويغالون في ذلك مغالاة شديدة.

لا شك أن النبي ﷺ تصدى من أجل إرساء التوحيد لقوم جبارين، مشركي مكة، وفي النهاية قام بتطهير الكعبة المشرفة من ٣٦٠ صنما، ولكنه بالإضافة إلى ذلك، أقام جهادًا عظيمًا مباركا في قلوب المسلمين من أجل إرساء التوحيد، وكوّن بقوته القدسية جماعة محبة لتوحيد الباري تعالى.

لقد ربّى النبي ﷺ صحابته تربية رائعة حتى لم تنشأ في فكر من أفكارهم أي شائبة من الشرك، وقد نهى أصحابه عن أن يبالغوا في مدحه ﷺ.

وعن ابن عباس أنه سمع عمر -رضي الله عنهم- يقول على المنبر: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ".

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَخْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ".

فكان ﷺ لا يطبق أن يوضع أي شيء إزاء توحيد الباري تعالى.

وهناك رواية تبين مكانة الناطق بكلمة التوحيد. عن عبید الله بن عدي بن الحيار أن المقداد بن عمرو الكندي - وكان حليفا لبني زهرة، وكان ممن شهد بدرا مع رسول الله ﷺ - أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: «أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟» فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله». فقال المقداد: يا رسول الله، قطع يدي ثم بعد أن قطعها قال "لا إله إلا الله؟" فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه يأخذ مكانك الذي كنت فيه قبل أن تقتله، وتأخذ أنت مكانه الذي كان فيه قبل أن يقول كلمته التي قالها».

فحتى لو تصرف مثل هذا التصرف أي من الصحابة -حتى القدامى منهم- استنكره النبي ﷺ أشد الاستنكار، ولكن انظروا حال مشايخ اليوم، حيث يضطهدون الأحمديين في باكستان رغم نطقهم بالشهادتين اضطهادا شديدا. والحق أن النبي ﷺ في هذه الواقعة قد فصل في قضية هؤلاء الظالمين. فعلى القوم الذين يتبعون هذه المشايخ المتطرفين أن يفكروا في هذا الأمر.

وورد في رواية أخرى بهذا الصدد: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ (الحرقات قرية من قرى قبيلة جهينة) فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعْنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟!" قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا". فَمَا زَالَ ﷺ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

وهناك رواية أخرى عن جابرٍ، قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموجهتان (أي الموجهتان للجنة والنار)؟ فقال: «من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار». عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ﷺ: "إنَّ أَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ. قَالَ: "الرِّيَاءُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُحَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً". (مسند أحمد)

أي الآن إذا أردتم المغفرة فاسألوهم إياها، لتروا ماذا تجدون. فأن يتصرف المرء رياءً للناس طمعا في منفعته، أو تملقهم فمثلته كمثل الشرك، وهو ﷻ يكرهه أشد كراهية.

عن عبد الله قال لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِينَا لَمْ يَظْلَمُوا (ربما الكثير منا ظلموا، إذ ن ظلم دون أن نشعر) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. فقد نزل الجواب من الله أن الشرك هو الظلم العظيم. فلاتكالم على أي شيء من دون الله شرك. يجب أن نفحص أنفسنا بدقة إذا كنا نرتكب أي نوع من الشرك، فهو ظلم عظيم. فقد ورد في شرح هذا الحديث في شرح البخاري لحضرة ولي الله شاه الذي نشرته الجماعة: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الظلم وضع شيء في غير موضعه. يندرج كل نوع من سوء الخلق والأمور غير الشرعية في مدلول الظلم. فتحت عنوان "الكفر دون الكفر" قد عُدَّ الشرك الكفرَ الأعظم، وسوء الخلق البسيط أيضا عُدَّ من الكفر. فهذه هي الدقة. ثم شرح تحت عنوان "الظلم دون الظلم" باعتبار الشرك ظلما عظيما، أنه لماذا عُدَّ ذنبا عظيما، وقال: ذلك لأن المشرك ينسب صفات الألوهية الخاصة بالله ﷻ إلى غيره، فالعبادة أي المحبة والطاعة التي هي في الحقيقة حق الله، يُشرك فيها الآخرون أيضا. والإنسان الذي هو عبده، وخلق من أجل تحقيق مشيئته ﷻ، يصبح عبدا لنفسه أو لإنسان آخر مثله، أو للكائنات الحفيرة، فيحط نفسه من المقام الذي قد خلق من أجل الثبات عليه. فالتصرف غير الشرعي في أداء حقوق العباد أيضا من الظلم، أما التصرف غير الشرعي في أداء حقوق الله ﷻ فيفوق ذلك الظلم بدرجات كثيرة. أي صحيح أن التقصير في أداء حقوق العباد ظلم، أما عدم أداء حقوق الله بوجه صحيح فهو الآخر ظلم. ومدلول الظلم هذا موجود في الشرك بأكمله. فالشرك في الحقيقة يدمر الغاية الكمالية للإنسان. والإمام البخاري قد وضَّح استدلالا من الآية والحديث، أن الإيمان الكامل هو ما يكون منزلها من كل شائبة الشرك. فالإيمان الكامل والهداية هي من نصيب أولئك الذين لا يشوب إيمانهم أي نوع من الشرك والظلم. كما ورد ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٣). أي لا يكتمل الإيمان ما لم تصحبه الأعمال الصالحة من ناحية، ومن ناحية يكون منزلها من كل نوع من الظلم. فالشرك والذنوب وكل نوع من الكفر يجعله ناقصا. فهذا هو المعيار الذي بينه لنا رسول الله ﷻ لتمسك بالتوحيد والتنزه من الشرك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَمَا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ (أي يرفض بعثته في العالم الآخر، فهذا تكذيبه) وَأَمَا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَمَ أُولَدَ وَمَ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ. ﴿لَمْ يَلِدْ وَمَ يُولَدُ وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾". (صحيح البخاري) فهذا الحديث يفسر سورة الإخلاص.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي أن الله تعالى هو مَنْ يحتاج إليه الجميع وهو لا يحتاج إلى أحد. انظروا كيف تبين هذه العبارة القصيرة التي لا تبلغ حتى سطرا واحدا تنزيه الله تعالى من كل أنواع الشراكة بكل دقة وحسن بيان! (أي قد بينت أن الله منزّه من كل أنواع الشرك) وتفصيل ذلك أن الشراكة من حيث العقل أربعة أقسام؛ (أي إذا نظرنا من منطلق العقل فيمكن الشرك في أربعة أمور)، في العدد، (أي أن يُشرك به واحد أو اثنان أو ثلاثة) أو في المرتبة، (أي ترتفع مكانة أحد فيُشرك بالله) أو في النسب (أي العائلة) أو في الفعل والتأثير. (أي من منطلق الفعل ونتائجه)، ففي هذه الآية ذكر الله تعالى تنزيهه عن الشراكة بأنواعها الأربعة، وقال بصراحة تامة إنه تعالى أحد من حيث العدد وليس اثنان أو ثلاثة. وهو "الصمد" أي وحيد فريد من حيث مرتبة وجوب وجوده وكونه محتاجا إليه، وكل ما سواه إنما هو ممكن الوجود وهالك الذات (أي سيفنى وجوده ويهلك، أما هو تعالى فباق منذ الأزل إلى الأبد) ومحتاج إليه تعالى في كل حين وأن. (أي كل ما يوجد في العالم فإن محتاج إلى الله وحده) وهو: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي ليس له ابن حتى يكون شريكا له لأنه ابنه. وهو: ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ أي ليس له أب حتى يكون شريكا له لأنه أبوه. وهو: ﴿وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾ أي ليس هناك أحد كفوًا له في أفعاله حتى يُعدَّ شريكا له من حيث الفعل. فبذلك صرّح أنه تعالى منزّه عن الشراكة من الأنواع الأربعة كلها، وهو واحد لا شريك له". (البراهين الأحمدية، ص ٤٣٣، الحاشية)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَحْتَمُ بِقُلِّهِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، (أي كان يقرأ سورة الإخلاص في الأخير) فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: "سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخْبَرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ". (صحيح البخاري كتاب التوحيد) أي إذا كنت تعلن توحيد الله تعالى فاعلم أن الله تعالى أيضا يحبك.

نجد أمثلة في حياة الصحابة زاخرة بمعرفتهم حب الله وتوحيده. فقد ورد في رواية:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةَ يَقْرَأُ هُمْ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلِّهِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةِ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. (لقد ذكر في الحدث السابق أميرٌ على سرية كان يفعل ذلك أما في هذه الرواية فذكر إمام

في منطقة كان يواظب على ذلك) فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدْعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمِّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ (أَنْ أَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ) تَرَكْتُكُمْ. (لا حاجة لي أن أُوْمِّكم) وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤَمِّمَهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ. (بأن هذا الرجل يقرأ سورة الإخلاص في كل ركعة قبل أي سورة أخرى) فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّيْ أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» (سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص) يعني حب سورة الإخلاص أدخلك الجنة. إن القوة القدسية لرسول الله ﷺ وتريبته جعلت الصحابة منارة تثير طريق وحدانية الله. ورد في رواية صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال عن هذه السورة أنها لتعدل ثلث القرآن. (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن) قال حضرة المصلح الموعود ﷺ في شرحه:

"الواضح أن هذا لا يعني أنها تساوي ثلث القرآن حجمًا، إنما هذا إشارة إلى أهمية مواضيعها. يتضح من دراسة القرآن الكريم والحديث أن هناك فئتين تظهران في الزمن الأخير؛ فئنة الدجال وفئنة يأجوج ومأجوج، وكلتاهما ستحاول القضاء على الإسلام، واحدة بعد الأخرى. فإحداهما تدعو إلى ثلاثة آلهة؛ الإله الأب والإله الابن والإله الروح القدس، بدلًا من الإله الواحد، والأخرى تدعو إلى الإلحاد والدهرية. (أي تنكر وجود الله نهائيًا) وقد قام القرآن الكريم بتنفيذ العقيدتين وتبيان العقائد الصحيحة، وهو مليء بحمد الإله الأب، ويعلن أن الإله الأب هو الرب وهو الإله الأحد، وليس هناك أي إله آخر باسم الإله روح القدس والإله الابن. فالقرآن الكريم يرسى ألوهية الإله الأب، ويطل ألوهية الإله الابن أو الإله الروح القدس. ولما كان ثلث القرآن قد نزل دعمًا لعقيدة ألوهية الإله الأب، فتبين أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن. الحق أن القرآن الكريم قد جاء لإثبات توحيد الباري وتنفيذ العقائد الباطلة، ولما كانت هذه السورة قد أبطلت العقائد الزائفة وبيّنت حقيقة التوحيد بكلمات جامعة مانعة، فقد عدلت ثلث القرآن، بل صارت مثله. فثبت أن قول النبي ﷺ إنها تعدل ثلث القرآن ليس مبالغًا فيه، إنما يبين أهمية مضمونها". (التفسير الكبير ج ١٥)

قال المسيح الموعود ﷺ:

"تيقنوا أن التوحيد اليقيني لا يتأتى إلا باتباع النبي ﷺ. كما أن نبينا ﷺ قد جعل العرب الملحدون والمنحرفين يؤمنون بوجود الله بإراءتهم ألوف الآيات البينات، وأن أتباعه ﷺ الصادقين الكاملين كانوا ولا يزالون يُتَمِّمون الحججة على الملحدون بتلك الآيات المعجزة. الحق والحق أقول إن الشيطان لا يغادر قلب الإنسان ولا يدخله التوحيد الصادق ولا يوقن أحد بوجود الله ما لم يشاهد القدرات الحية لله الحي، وإن ذلك التوحيد الطاهر والكامل إنما يُنال باتباع نبينا محمد ﷺ وحده". (حقيقة الوحي)

في عصرنا هذا، حتى أولئك الذين يزعمون الإيمان بوحدانية الله قد غضوا الطرف عملياً عن التوحيد. إن فتن يأجوج ومأجوج والدجال هي فتن منفصلة، وهي فتن خارجية ولكن للأسف لم يعد في المسلمين أيضاً فهم حقيقي للتوحيد. وهذه الظروف نفسها، كان مقدرًا لخدام النبي ﷺ أن يأتي في شخص المسيح الموعود والمهدي الموعود، وقد جاء وفقاً لوعده الله وواجه كل هجوم على التوحيد.

وبالتالي، لا يمكننا أداء حق البيعة حقيقة ما لم نكن مؤمنين بالتوحيد الحقيقي. عندما أسس المسيح الموعود ﷺ جماعته في ٢٣ مارس. هذا هو شهر مارس الذي نعيش فيه، وبذكرى ٢٣ مارس، نقيم أيضاً تجمعات ليوم المسيح الموعود، وذلك لأن الله تعالى إنما أرسل خدام النبي الكريم ﷺ وفقاً لوعده، لإقامة التوحيد. فعندما أسس الجماعة فبانضمامنا إلى بيعتها قد تعهدنا بأننا أيضاً سنبقى دائماً ثابتين على التوحيد. ولا يمكن أداء حق التوحيد الحقيقي إلا إذا سعى كل واحد منا إلى إرسائه في داخله، وفي عائلته، وفي مجتمعه. ندعو الله أن يوفق جميع المسلمين لقبول هذا المبعوث من الله، وإرساء وحدانية الله، وسحق فتن يأجوج ومأجوج والدجال، التي تهاجمهم بقوة شديدة هذه الأيام.

وهناك رواية عن إسرائ النبي ﷺ عن ابن مسعود قال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَهَّهَا قِيعَانٌ<sup>١</sup> وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ". (سنن الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ) فينبغي لكل مؤمن أن يردد هذه الكلمات المباركة بكل تأمل مدركاً توحيد الله تعالى إدراكاً كاملاً، حينها يمكن نيل النجاح، أن نؤمن بأن الله تعالى واحد أحد.

هناك حديث قدسي رواه أنس بن مالك قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. (أي إنني أغفر لك بالرغم من وجود التقصيرات والعيوب فيك لذا عليك أن تظل تدعوني) يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. (مهما بلغت الذنوب فإن الله تعالى يستطيع أن يغفرها جميعاً لأنه مالك) قال: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَنَّيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً". (سنن الترمذي كتاب الدعوات) إذا كانت ذنوب العبد وخطاياها بما يساوي الأرض ولم يشرك بالله شيئاً ويخشاه ويقر بوحدانيته ويسعى لطاعته فإن الله تعالى يعده بالمغفرة.

إذن، إن الله تعالى يغفر الذنوب كلها إذا جاءه الإنسان متواضعاً، ولكن بشرط ألا يكون قد أشرك به شيئاً، وكان قد أدى حق وحدانية الله تعالى، فهذا أيضاً ضروري. وكما قلت من قبل بأن الإيمان وحده لا يكفي، بل يجب على الإنسان أن يبرهن بكل عمل من أعماله على أن الله واحد. فقد جاء في رواية عن

<sup>١</sup> القيعان : جمع قاع وهو الأرض المنخفضة المستوية التي تجتمع فيها المياه بعد المطر.

المكانة السامية للتوحيد: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ، عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: يَا مُوسَى، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا. قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبِّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَحْصُنِي بِهِ. قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحا حقيقة الجملة "لا إله إلا الله" وهو يرد على اعتراض:

"من تعاليم سيدنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله " غُفرت له ذنوبه، هذا حق وواقع أن من يعدّ الله عز وجل واحداً لا شريك له ويؤمن بأن الله القادر الأحد أرسل محمداً المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويموت على هذه الكلمة فقد نجا. هل يمكن أن ينجو أحد تحت السماوات بانتحار أحد؟ كلا! ومن يكون أكثر جنونا ممن يعتقد بهذا؟ ولكن الاعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وهو رحيم وأنه أرسل رسوله محمداً المصطفى صلى الله عليه وسلم رحمة لخلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور اعتقاد يُبعد يقيناً ظلمات الروح وأهواء النفس وتحل محلهاما الوحدانية، ثم يحيط حماس الوحدانية بالقلب كله وتبدأ حياة الجنة من هذه الدنيا. كما ترون أن الظلمة تنقشع بمجيء النور كذلك عندما يقع ظل " لا إله إلا الله " النوراني في القلب تنعدم أهواء النفس الظلمانية. إن حقيقة الذنب هي أن تصرخ الأهواء النفسانية بفعل شائبة من التمرد، ويُدعى الإنسان مذنباً في حال الماضي في سبيلها. (العمل الثاني أي متابعة الأهواء النفسانية تجعل الإنسان مذنباً) ويتبين معنى "لا إله إلا الله" من مصادر اللغة العربية وهو "لا مطلوب لي ولا محبوب لي ولا معبود لي ولا مطاع لي إلا الله" (الذي يمكن أن أتبعه) والآن من الظاهر أن هذه المعاني تخالف تماماً حقيقة الذنب ومنبع الذنب الأصلي. إن من يرسخ هذه المعاني في روحه بقلب مخلص (الجدير بالانتباه هنا هو أن يرسخ المرء الأمور المذكورة في قلبه بإخلاص) فلا بد أن يخرج المفهوم المخالف لها من قلبه (لأن في هذه الحالة سيعمل المرء بأوامر الله تعالى ويؤمن بوحدانيته) إذ لا يمكن جمع الضدين في مكان واحد، وعندما تخرج الأهواء النفسانية لا تبقى إلا الحالة الطاهرة الصادقة والصدق الحق. ويتطلب الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الشطر الثاني في الشهادة- الإيمان بكلام الله عز وجل- لأنه من يقرّ بطاعة الله عز وجل فلا بد أن يؤمن بأوامره عز وجل، ولا يمكن الإيمان بالأوامر إلا بأن يؤمن المرء بالذي جاءت هذه الأوامر بواسطته، فهذه حقيقة الكلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

يقول أبو موسى الأشعري: حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَحَقُّ مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ". فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَحَقُّ مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ".

يقول عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنِ أَبِيزٍ إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عندما يصبح:

"أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

وبذلك وجه أنظارنا إلى ذكر الله دائما عندما نصبح.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: "أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَبِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"، قَالَ، فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ".  
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ - اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

أقول: يسأل الناس عادة ما ذا يقرأون في حالة الكرب والمشاكل، فالدعاء المذكور آنفا هو أحد الأدعية لهذا الغرض.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ".

فانظروا بأي دقة وعناية كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بإقامة التوحيد ويُلَقِّنُهُ!

هناك رواية عَنْ أَبِي رَمَثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبِي لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرِنِي هَذَا الَّذِي بَطَّهْرَكَ (أي ختم النبوة) فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ، قَالَ: "اللَّهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ (الذي يؤاسي المريض ويطمئنه)، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا (وهو الشافي)".

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أُمِّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ".

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِيٍّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "بُيِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى حَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".

عَنْ يَسِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ إِحْدَى الْمُهَاجِرَاتِ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَلَا تَعْفَلْنَ فَتَنْسِينَ التَّوْحِيدَ، وَاعْقِدْنَ بِالْإِنْمَالِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ".

أي ينبغي ذكر الله تعالى وتقديسه وتوحيده وتسبيحه تعالى بالتعدد أيضا.

فلم يدع النبي ﷺ أي فرصة في أية مناسبة أو في أي مجلس أو في أي طبقة من طبقات الناس إلا واغتنمها لترسيخ هذه الحقيقة في قلوب الأمة، وللنصح بتوحيد الله تعالى وإقامة عظمته. وفي هذا الصدد ذكر حضرة المصلح الموعود في إحدى خطبه قائلاً:

"كان لرسول الله ﷺ من الشغف والحماس بهذا الأمر ما اعترف به حتى أعداؤه أنه ﷺ في قيامه وعوده ومشيته وتحركاته، بل في كل أوقاته كان ينادي: الله.. الله. فلقد كتب مؤرخ فرنسي قائلاً:

مهما يكن الأمر، ومهما أَلصقتهم من تهم بمحمد ﷺ، إلا أنني أرى فيه (أي في النبي ﷺ) أمراً لم أره في أي شخص منذ قيام الدنيا. إنها صفة لم أرها في أحد قط، وهي أنه منذ أن أعلن نبوته (أي منذ أن أعلن النبي ﷺ نبوته) وحتى لحظة وفاته، لم تفارق لسانه كلمة واحدة، وهي كلمة "الله". كأنه كان يعيش في شغف وجنون دائم ليثبت للناس وجود الله الأحد ويجعل أناس العالم يعترفون به.

فمن يصفون مهمات النبي ﷺ بالجنون، لأنه كان يردد اسم الله في كل حين وأن، هم أنفسهم أيضاً يعترفون بأن أول وأهم وأكبر ما كان يرى النبي ﷺ من مهامه هو إثبات وجود الله تعالى وتوحيده. فليكن هذا جنوناً عند هؤلاء، ولكن الناس فيما بعد اعتبروا صاحب هذا الجنون إنساناً كاملاً، وإن لم يره البعض كاملاً، فقد اعترفوا على الأقل بأنه لا يمكن أن يكون شيئاً الشخص الذي يقضي ليله ونهاره في ذكر الله، وفي قلبه لوعة وحماس لإثبات وحدانيته وصفاته تعالى."

على كل حال، إن النظر إلى هذه الحالة للنبي ﷺ يجعلنا ندرك أن غرض مجيء النبي ﷺ وجميع الأنبياء إلى هذه الدنيا هو محو الشرك، وإثبات وجود الله تعالى، ونشر توحيده في العالم.

وقد كتب حضرة المصلح الموعود في موضع آخر من خطبه:

"ينبغي أن نحصر على أن نتنبه إلى هذه النقطة، وهي أنه مهما علا شأن رسول الله ﷺ، ومهما كانت محبتنا له شديدة، فإن شأن الله تعالى أعلى بكثير من شأنه ﷺ. إن الله تعالى أزي أأبدي، ومحمد رسول الله ﷺ هو أحد أعظم فيوضه تعالى وبركاته. وإن إعطاء النبي ﷺ أي مقام مفض إلى تقليل مقام الله تعالى أو إخفائه، إنما هو عداوة لشخصه ﷺ. لأن النبي ﷺ نفسه لم يكن يرضى بهذا أبداً، كما ذكرت سابقاً من خلال الأحاديث أنه كان يكره أن يُعطى مقاماً أعلى من الله تعالى. وكل عمل من أعماله ﷺ دليل كافٍ على إثبات هذا الأمر. فكل الأعمال العظيمة التي وُفق للقيام بها - وكانت هي أعمالاً عظيمة جداً تحتاج إلى قوى هائلة بحيث لا يستطيع إنجازها بشرٌ عادي، بل لا يقدر عليها أقوى البشر - إنما كانت تتم بحول الله تعالى وتوفيقه وحده.

ومع كل ذلك، كان ﷺ يعاني في حالة الاحتضار من آلام شديدة جداً.

تقول عائشة: ظننتُ شدة الموت علامة الشقاوة وسوء حال الرجل عند الله، (أي كانت تظن أنه إذا كان أحد يعاني سكرات الموت مضطرباً فلا يكون صالحاً). ولكن لما رأيتُ حالة النبي ﷺ، اضطررتُ إلى تغيير

رأى تماماً. وفي تلك اللحظات الشديدة من الألم والمعاناة كان أكبر همه هو اهتمامه بمقام الله تعالى، وذلك لأنه ﷺ كان يعلم أن أتباعه ومحبيه يحبونه حباً شديداً، وأن عشقهم له قد يدفعهم إلى الغلو في شأنه والمبالغة في مرتبته. لذلك، حتى في تلك الحالة الشديدة من الألم، كان لسانه يردد مراراً وتكراراً: لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وكان ﷺ يكرر هذه العبارة مرة بعد أخرى. فكان آخر وصية وآخر درس أعطاه لأمته هو ألا تعطوني مقاماً يعدّ شركاً بالله، وإذا فعلتم ذلك فلا تظنوا أنني سأكون سعيداً به، بل ستلعنُ روعي أولئك الذين يفعلون ذلك".

إذن، فحتى لو كان الأمر متعلقاً برسول الله ﷺ نفسه، فإن نسبة أي مقام إليه يؤدي إلى تقليل مرتبة الله تعالى ليس سبباً لسروره ﷺ، بل إن من يفعل ذلك يتعرض للعنة رسول الله ﷺ. وإن لعن أحد عند الموت كانت لعنته خطيرة جداً. إن الذين لا يتبعون الدين الحقيقي، مثل بعض الهندوس مثلاً، يخافون جداً من الدعاء السليبي عند الموت، فمثلاً إذا دعا الوالدان عند موتهما على أحد، فإنهم يخافون من دعائهما السليبي. ولكن إذا كان رسول الله ﷺ، سيد الأنبياء والمرسلين، يدعو في حال احتضاره بمثل هذا الدعاء فما أعظم هذا الأمر، وما أشد هذه اللعنة!

يجب علينا أن نحذر منها كل الحذر. لا يُعمَل بما حذر منه النبي ﷺ على قبره (كما ذكرتُ سابقاً مرة)، ولكنه يُرتكب عند قبور الأولياء والصوفية والمشايخ. ومثل هذا الفعل لا يمتي إلا باللعنة كما ورد في دعاء النبي ﷺ.

إذن نحن الذين نؤمنُ بالخادم الصادق لرسول الله ﷺ، ينبغي أن ندرك حقيقة التوحيد، وأن نفهم الحرص الذي كان لدى النبي ﷺ لإقامة التوحيد، ثم نبذل قصارى جهدنا في سبيل ذلك لنكون موحدين حقيقيين. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك.

إن أوضاع الحروب تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. فالولايات المتحدة وإسرائيل تسعيان لفرض هيمنتها على العالم بأسره، لا سيما العالم الإسلامي. وكما صرّح رئيس إسرائيل عند بدء الحرب على فلسطين لأول مرة فقال، إن خريطة هذه المنطقة، بل وخريطة الدول العربية أيضاً، ستتغيّر. فهذه محاولات لتغيير تلك الخريطة. وعلى العالم الإسلامي أن يدرك الآن الوجهة التي تتجه إليها هذه القوى، وعليه أن يدرك أن وحدته أمرٌ في غاية الأهمية. وقد نقلت الأنباء أن باكستان تحاول التوسّط لعقد صلح بين إيران وبين تلك الدول من جهة، وبين إيران والولايات المتحدة من جهة أخرى. وعلى كل حال، فنظراً لكون الأضرار تقع أيضاً على الدول العربية، فإن باكستان تبذل جهوداً في هذا السياق.

إلا أن بعض الأوساط في إيران قد أبدت سوء ظنٍّ تجاه ذلك، وعدّت هذا الأمر خطأً، بل وصل الأمر ببعض المثقفين والمحللين هناك إلى اتهام باكستان بأنها تقوم داخل أراضيها القريبة من الحدود الإيرانية

بتدريب قوات أمريكية، أو تدعم جهاتٍ قد تقاثل ضد إيران. على أية حال، فهذا ادعاءً باطل تماماً، وقد نفت باكستان ذلك.

إن العدو يسعى للاستفادة من هذه الظروف لإثارة الاضطراب، حتى لا تتمكن الدول الإسلامية من أن تكون عوناً لبعضها البعض. ولذلك، فإن هناك حاجة ماسة إلى الدعاء. فليوفقنا الله تعالى للإكثار من الدعاء في هذا الشأن، وفي أن يُلهم الدول الإسلامية الوحدة والاتحاد. آمين.

\*\*\*\*\*